من أخلاق الداعية

تأليف

فضيلة الشيخ

سلمان بن فهد العودة

المشرف العام على موقع الإسلام اليوم

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه الصحوة منا، ونحن منها، عزّها عزنا، ونصرها نصرنا، ونحن أسعد الناس بها!

وليس يجوز لقادر أن تكون مشاركته "الفرح" فحسب؛ بل نريده "فرحًا" إيجابيًا، يتحول إلى كلمة بناءة، أو نصيحة هادفة، أو لفتة موفقة.

وليس ترشيد الصحوة أمرًا مما يطيقه الآحاد من الناس؛ بل هو مسؤولية الجميع.

فإلى المشاركة الإيجابية الجادة في هذه السلسلة المباركة قبل أن يفوت الركب، وتطير الطيور بأرزاقها.

المؤلف

السعودية – القصيم — بريدة

ص ب ٢٧٨٢

(١) بدون مقدمات:

كان من صحيح دعائه— صلى الله عليه وسلم –:

"اللهم اهدني لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها، لا يصرف عني سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك، والخير كله في يديك، والشر ليس إليك، أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت، أستغفرك وأتوب إليك"[١].

"اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق، والأعمال، والأهواء"[٢].

"اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل، والهرم والقسوة، والغفلة والعيلة، والذلة والمسكنة، وأعوذ بك من الفقر والكفر، والفسوق والشقاق والنفاق، والسمعة والرياء، وأعوذ بك من الصمم والبكم، والجنون والجذام، والبرص وسيء الأسقام"[٣].

(٢) لأتمم مكارم الأخلاق:

تتبوأ الأخلاق في الإسلام موقعاً من أعظم المواقع، حتى لقد

صحّ عنه – صلى الله عليه وسلم –، أنه قال: **"إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق"**[٤]، وفي لفظ: **"مكارم الأخلاق"**[٥]. فكأنه – صلى الله عليه وسلم – حصر المهمة التي بعث لها في هذا الأمر.. ولا غرابة في ذلك؛ فإن نحن فهمنا "الأخلاق" علي أنها تعامل العبد مع الله ومع الناس؛ فالأمر واضح، وهذا هو الدين كله: كيف تتعامل مع الخالق؟ كيف تعبده وتوحده، وتتجنب ما يسخطه؟ وكيف تتعامل مع المخلوق؟ ويدخل في ذلك الملائكة والأنبياء والصالحون والأقربون ممن لهم حقوق الحب والود، كما يدخل فيه الصنف الآخر من الشياطين والكفار، والفساق والمنافقين، ممن يبغضهم الإنسان في ذات الله كالكفار، أو يبغضهم من جانب واحد كالفساق الذين يكون فيهم أصل الإيمان بالله ورسله.

أما إن فهمنا "الأخلاق" بمعنى أخص، وأنها التعامل مع الناس فحسب فالحديث إذن محمول على بيان عظم فضل الأخلاق، وعلو مكانتها في الدين، فهو كحديث: **"الحج عرفة"**[٦]، وحديث: **"الدين النصيحة"**[٧]، إذ ليس المقصود حصر الحج في عرفة، ولا حصر الدين كله في النصيحة؛ إنما المقصود أن الوقوف بعرفة أعظم أركان الحج، وأن للنصيحة مرتبة عالية في الدين، فلا

إشكال في الحديث على المعنيين، وكلاهما له دلالة قوية على عظم شأن الخلق في الإسلام.

(٣) مسلم.. وداعية:

من هذا المنطلق وجب على المسلم التحلّي والتجمل بالخلق الحسن، سواء كان داعية أم غير داعية؛ إذ الأخلاق من مقاصد البعثة المحمدية التي أكرم الله بها الإنسان في الأرض كلها، وخصّ المؤمنين بخصيصة منها ليست لسواهم، حيث هداهم بها إلى الصراط المستقيم، وزكى نفوسهم، وعلَّمهم ما لم يكونوا يعلمون: قال تعالى: **(هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)** [الجمعة: ٢]. والتزكية المذكورة في الآية الكريمة تشمل تزكية النفس، وتربيتها على معالي الأخلاق، وتنقيتها من رديئها... ففي هذه الآية –كما في الحديث السابق– تبدو الأخلاق مقصدًا من مقاصد البعثة المحمدية؛ بل من أبرز مقاصدها.

وإذا كان التحلي بالخلق الفاضل واجبًا على آحاد المسلمين؛

فما بالك بالداعية الذي يحمل راية الدعوة وشعارها، وينادي بها بين الناس؟

لا شك أن الأنظار إليه أسرع، والخطأ منه أوقع، والنقد عليه أشد، ودعوته يجب أن تكون بحاله قبل مقاله؛ ولذلك فتخلقه بالخلق الكريم أوجب وألزم، قيامًا بحق ما جعل الله على كاهله من الأعباء الجسام.. كما قال الشاعر:

شكرًا لفضلك إذ حـملت كاهلنا
ما وثقت بنا ما كان من نوب

وحماية للدعوة وأهلها من ألسنة المغرضين، وأقلام الخصوم الشانئين، وأوهام الغافلين والمتعجلين.

(٤) وهذه منها:

ولو أردنا أن نتناول الأخلاق كلّها لطال المقام، ولما صنعنا شيئًا، فالمصـــنفات في الأخلاق تمثـــل مجموعـــة كبـــيرة، منها: **" أخلاق النبي"** لأبي الشيخ الأصبهاني، **"مكارم الأخلاق"** للطبراني، وللخرائطي، **"الأخلاق والسير"** لابن حزم، **"دستور الأخلاق في القرآن"** لمحمد عبد الله دراز.. الخ.

وهذه الرسالة -أخي الكريم- ليست بحثاً في الأخلاق وفلسفتها، وإنما هي عرض لمجموعة من الفضائل الخُلقية التي شعرت بأهميتها العظمى للداعية مع كثرة النصوص فيها، وإنما نتناول فيها جوانب مهمة، ونترك غيرها مما هو متوفر في المصادر العلمية لمن أراده.

وسوف نعرض هذه الفضائل الخلقية من خلال المباحث الآتية:

المبحث الأول: الصدق.

المبحث الثـاني: الصبر.

المبحث الثالث: التواضع.

المبحث الرابـع: العدل.

المبحث الخامس: العاطفة الحية.

المبحث السادس: الطموح.

* * *

المبحث الأول

الصدق

قال تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ)** [التوبة: ١١٩].

يفهم كثيرون الصدق على أنه صدق اللسان في الأقوال فحسب، والحقّ أن الصدق منهج عام، وسمة من سمات شخصية المسلم في ظاهره وباطنه، وقوله وفعله، ومن ذلك:

⊂ الصدق في حمل الدين:

بأن يكون تديُّن المرء تدينًا صحيحًا، مبنيًا على الصدق مع الله – عز وجل –، لا على النفاق والكذب والمجاملة؛ ولذلك يطلق الصدق في القرآن الكريم في مقابل النفاق: (لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا) [الأحزاب: ٢٤].

فلابد من الإسلام الظاهر مع الإيمان الباطن، ولابد من حسن الاعتقاد بالله واليوم الآخر، والملائكة والكتاب والنبيين، فالهدي الظاهر لابد أن يكون متوافقاً مع الهدي الباطن.

وهنا كمين من كمائن الشيطان، حيث يوحي للداعية بترك بعض الأعمال الصالحة الظاهرة بحجة أن باطنه ليس كذلك، ويوسوس له قائلاً: لا تفعل هذا لئلاّ ينخدع الناس بك!.. وهذا خطأ كبير؛ بل العمل الصالح الذي تزاوله بجوارحك، هو من أسباب صلاح قلبك وصدقه، ما دمت لم تعمله رياءً ولا سمعة، ولا على سبيل خداع المؤمنين.

⊂ الصدق في الأقوال:

والصدق في القول تعبير عن شخصية واضحة، ومروءة وشهامة وكرم، ولا يلجأ للكذب إلا لئيم الطبع، خبيث النفس، ضعيف الشخصية. والفطرة السليمة تستعيب الكذب وتستقبحه؛ ولذلك أجمعت الديانات السماوية على تحريمه وتجريمه.

فما بالك بالداعية؟! أتراه يتصور صدور الكذب منه؟! نعتقد أن الجواب ينبغي أن يكون: لا.

إن من الدعاة من يتوسع في التورية؛ بأن يقول كلاماً يفهمه الناس على خلاف ما يقصد، وقد يكتشفون بعد ذلك أن الواقع على خلاف ما فهموه منه فيتهمونه بالكذب. ثم إن التوسع في التورية قد يؤدي إلى التسامح في بعض "الكذبيات" بحجة أنها للمصلحة!! فالحذر الحذر!

أيها الداعية، حيث يلجؤك الموقف إلى الكذب فلا تقم عليه، وتذكر كلمة أبي سفيان أمام هرقل حين سأله عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، فقال: "وأيم الله لولا مخافة أن يؤثر عليّ الكذب لكذبت"(٨). لقد تجنب هذا الرجل –وكان جاهليًّا– أن يكذب خشية أن ينقلوها عنه، أو يعيّروه بها يومًا من الدهر، مع شدة حاجته إليها.

ونحن نعلم أن أعراض الدعاة اليوم أصبحت هدفًا لسهام كثيرة؛ ولذا يتعين على الداعية أن يغلق الباب الذي يأتيه منه الريح؛ ليريح ويستريح.

الصدق في الأعمال:

وهـــو يعني أن تكون أعمال الإنسان خالصة لوجه الله تعالى من الـــرياء والسمعة، قال تعالى **(قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ**

أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) [الكهف: ١١٠].

وقال تعالى: **(الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ)** [الملك: ٢]. قال الفضيل بن عياض: **(أيكم أحسن عملاً)**، أي: **أخلصه وأصوبه"**. قيل: يا أبا علي، ما أخلصه وأصوبه؟ قال: "إن العمل إذا كان خالصًا و لم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا و لم يكن خالصًا لم يقبل، لا يقبل حتى يكون خالصًا صوابًا".

ومن الصدق في الأعمال: **الوضوح، وتجنب الغموض والتلبيس،** فقد روى أبو داود والنسائي: "لما كان يوم فتح مكة اختبأ عبد الله بن سعد بن أبي سرح عند عثمان بن عفان، فجاء به حتى أوقفه على النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال: يا رسول الله، بايع عبد الله. فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثًا، كل ذلك يأبى، فبايعه بعد ثلاث، ثم أقبل على أصحابه فقال: **أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حيث رآني كففت يدي عن بيعته فيقتله؟** فقالوا: ما ندري يا رسول الله ما في نفسك، ألا أومأت إلينا بعينك؟ قال: **إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة**

الأعين"[٩]. إلى هذا الحد كان مدى الصدق في أعمال النبي – صلى الله عليه وسلم –، فلم يرض أن يقتل عدوه اللدود –الذي كان قد أهدر دمه– بطريقة غامضة عن طريق الإيماء بطرف العين.

وكان هذا دأبه وديدنه طيلة حياته – صلى الله عليه وسلم–؛ ولذلك لم يستطع المشركون في بداية الدعوة أن يتهموه بالكذب؛ بل قالوا: شاعر.. ساحر.. مجنون.. ولم يصدقهم الناس، وعندما فقدوا صوابهم وأعيتهم الحيل صرخوا: كذاب.. ولكن هيهات أن يصدقهم الناس! روى الترمذي عن عبد الله بن سلام – رضي الله عنه – قال: "لما قدم النبي – صلى الله عليه وسلم – المدينة انجفل الناس إليه، وقيل: قدم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، قدم رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، قدم رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فجئت في الناس لأنظر إليه، فلما استثبتُّ وجه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، وكان أول شيء تكلم به أن قال: **أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام"**[١٠]. لقد سرى صدق رسول الله – صلى الله عليه

وسلم – من القلب إلى اللسان إلى الجوارح، وتجلي على محيا وجهه الكريم، فكل من نظر إلى طلعته وإشراقها وصفائها قرأ فيها الصدق، وعرف أن وجهه ليس بوجه كذاب.

نحن نحتاج إلى نمط من الدعاة، آثروا الصدق في أقوالهم وأفعالهم، حتى أصبح الصدق سجية تجري في عروقهم، وتطلع من طلعات وجوههم، فإذا رآهم الناس قالوا: هذه ليست بوجوه كذابين.

كما أننا بحاجة إلى دعاة يتجملون بالخلق الكريم، ويتأبون على الإثارة والاستفزاز، فيحتفظون بهدوئهم واعتدال منطقهم في سائر الأحوال، حتى إذا أبصر الناس منهم هذا هتفوا: هذه أخلاق أنبياء.

إن صدقنا في حمل دعوتنا هو الذي يجعل الناس يتقبلون ديننا، وليس يليق بنا أن نكون كالممثل على المسرح، يظهر للناس بهيئة خلاف حقيقته، فمثل هذا سرعان ما ينكشف أمره، ويعرض الناس عنه.

نُقل عن بعض السلف أنه كان إذا وعظ أبكى الناس، حتى

تختلط الأصوات ويعلو النحيب، وقد يتكلم في المجلس من هو أغزر منه علمًا، وأجود منه عبارة، فلا تتحرك القلوب ولا يبكي أحد، فسأله ابنه يومًا عن هذا، فقال: "يا بني لا تستوي النائحة الثكلى والنائحة المستأجرة !".

إذن الوسيلة الأولى لنجاح الداعية هي: صدقه في حمل دعوته، وجديته في ذلك، وأن يكون الصدق في الأقوال والأعمال منهجه وشعاره. ليس المهم هو الكلمات المنمقة المعسولة -وإن كانت مطلوبة- إنما الأهم من ذلك الصدق، وأن يكون الإنسان منسجمًا مع نفسه، وأن يكون حديثه عن معاناة، وقديمًا قيل: الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب، وإذا خرجت من اللسان لم تتجاوز الآذان!!

* * *

المبحث الثاني

الصبر

الصبر قرين اليقين **(وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ)** [السجدة: ٢٤].

ولذلك قال سفيان: "بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين". والذي لا يصبر فإنه من السهل أن ينخلع عن دينه لأي شيء يعترض طريقه، ومن السهل أن يتخلى عن منهجه وحكمته لأي استفزاز؛ ولذلك قال الله تعالى لنبيه— صلى الله عليه وسلم-:" **فاصبرْ إنّ وعدَ اللّه حق ولا يستخفنك الذين لا يوْقِنون" (وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً)**[المزمل: ١٠].

كثيرًا ما يقف الضالون في وجه الدعاة إلى الله — عز وجل- ، يقولون لهم: إن ماتدعون إليه ضرب من الخيال لا يمكن أن يتحقق في الواقع، أنتم تدعون إلى أمور عفا عليها الزمن، ونسيها الناس أو كادوا، فينبغي أن ترضوا بما هو دون ذلك، وأن تراجعوا آراءكم واجتهاداتكم!! وأمام ضغوط الواقع القائم، وأمام العقبات

الحقيقية والوهمية في وجه تحقيق الإسلام، وأمام طول الطريق قد يستجيب بعض الدعاة ويتأثر، ويبدأ في إعادة النظر في فهمه للإسلام، وفيما يقوله الخصوم. ويا ليته إذ يفعل ذلك، يفعله بروح الباحث المتجرد الشجاع، المتطلع إلى الحق أين كان إذًا لهان الخطب!، لكنه يفعله بروح المنهزم، الذي يحس بأنه خرج من المعركة أسيرًا أو كسيرًا، فهو يبحث في "عروض" القوم عن "حل" يجنبه المعركة مع الباطل، والواقع المنحرف.

ولنضرب لذلك مثالاً:

الربا الذي انتشر، وضرب أطنابه، ومد رواقه، وقامت عليه اقتصاديات العالم كله -بما فيه العالم الإسلامي- وكاد يدخل جيب كل واحد، حتى تحققت فيه نبوءة النبي — صلى الله عليه وسلم – حين قال: **"يأتي على الناس زمان يأكلون الربا، فمن لم يأكله أصابه من غباره"**(١١)، وهذا الحديث وإن كان فيه ضعف، إلا أنه يشهد لصحة معناه قوله — صلى الله عليه وسلم – فيما رواه البخاري: **"يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أكل، أمِنَ الحلال أم من الحرام"**(١٢).

وبدلاً من أن يسعى الداعية لنهي الناس عن هذا الحرام المستقر

في نفوس الكثيرين، وجيوبهم، ومؤسساتهم، وأموالهم، وبدلاً من البحث عن البدائل الشرعية الصحيحة لتنمية أموال الناس واستثمارها، وإقامة بناء الاقتصاد الإسلامي السليم يأتيه الذين لا يوقنون فيحاولون أن يستخفّوه؛ ليعيد النظر في صور من صور الربا الصريح، وأن يجد لها مخرجًا فقهيًّا ولو ضعيفًا أو شاذًّا! وهكذا يصبح واقع الناس في فترة من الزمان محدودة مرجعًا لتعديل بعض الأحكام الشرعية المستقرة عبر القرون! إنه فقدان الصبر في نفوس بعض الدعاة، ومع فقدانه فقدان الأمل!

أعلّل النفس بالآمال أرقبهـ ـا
ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل

ويا ليت الداعية ينصت لذلك الناصح الذي قال للخليل:

إذا لم تستطـع شيئًا فدعـه
وجاوزه إلى ما تستطيـع

أنت لست مطالبًا بتحقيق نصر واقع للإسلام، فهذا أمره إلى الله، متى شاء أن يحدث حدث، لكنك مطالب ببذل جهدك في هذا السبيل فحسب، والرسل والأنبياء كانوا يخاطبون بذلك، كما في قوله تعالى: **﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ**

إِلا الْبَلاغُ وَإِنا إِذَا أَذَقْنَا الإِنسَانَ مِنا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِئَةٌ بِمَا قَدَمَتْ أَيدِيهِمْ فَإِن الإِنسَانَ كَفُورٌ) [الشورى: ٤٨]، وكانوا يقولون **(وَمَا عَلَيْنَا إِلا الْبَلاغُ الْمُبِينُ)** [يس:١٧].

وقد يأتي أحدهم إلى بعض الدعاة ويقول له: أنت تعمل أعمالاً جبارة، وتواصل كلال الليل بكلال النهار، لكن النتيجة في النهاية قليلة، فالناس ينفضون من حولك، وأنت ترى وسائل الهدم والتخريب قد استحوذت على الكثير منهم، وأصبحت تفسد في ساعة ما يبنيه الداعية في سنة!، كما قيل:

متى يبلغ البنيانُ يومًا تمامَـه
إذا كنتَ تبنيه وغيرُك يهدمُ؟!

وهذا المنطق قد يؤثر على كثير ممن لم يعتادوا على عقبات الطريق، وهنا يأتي دور "الصبر"، الصبر الجميل.

عن خباب بن الأرت – رضي الله عنه – قال: "أتينا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو متوسد بردة في ظل الكعبة، فشكونا إليه فقلنا: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو الله لنا؟ فجلس – محمرًا وجهه–، فقال: **قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل، فيحفر**

له في الأرض، ثم **يؤتى بالمنشار، فيجعل على رأسه، فيجعل فرقتين _ ما يصرفه ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب _ ما يصرفه ذلك عن دينه، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب ما بين صنعاء وحضرموت ما يخاف إلا الله تعالى والذئب على غنمه، ولكنكم تعجلون**"(١٣).

فالعجلة في قطف ثمار الدعوة ونتائجها لا تتناسب مع الصبر الذي يجب أن يتحلى به الداعية.

قد يكون الداعية في موقع من المواقع: بلد، أو مدرسة، أو مؤسسة،... يجاهد في ردّ المنكرات ونشر الدعوة، ويحدث على يديه خير كثير، لكنه لا يحسُّ به؛ لأنه يجيء بصورة تدريجية، كما لا يحسّ الأب بنمو طفله الذي يراه صباح مساء؛ لأنه يكبر شيئاً فشيئًا.

وكم من داعية تخلى عن موقع من المواقع، ظانًّا أنه ليس له أثر فيه، فلما تخلى بان فقده، وظهرت مكانته، فكان كما قيل:

سيذكرني قومي إذا جدّ جدهم

وفي الليلة الظلماءِ يُفتقد البدرُ

وكان كالكسعي[١٤] الذي يصنع السهام ويرمي بها في الليل، ويظن أنها لم تصب ما أراد، فكسر القوس، فلما أصبح رأى أنها قد أصابت، فندم على كسرها، وصار يضرب به المثل في الندم، حتى قال الفرزدق حين طلق زوجته:

ندمت ندامة الكسعي لمّا
غدت مني مطلقـة نـوارُ[١٥]

فعلى الداعية ألا يستعجل النتائج والثمرات؛ بل يسعى ويعتمد على الله تعالى، ويدرك أنه بمنطق التجربة المقطوع بها من الناحية التاريخية ومن الناحية الواقعية ــ أن أي جهد صحيح يبذل في الأمة يكون له ثمرة، إذ لم يقع في هذه الأمة أن أحدًا دعا فلم يستجب له، أو نصح فلم ينتصح بأمره ونهيه أحد، أو أن عالمًا جلس للتعليم فلم يقعد إليه أحد، إلا أن يؤتى من قبل نفسه؛ بل كل داع يجد من يستجيب له؛ إذ لم تصل الأمور إلى ما أخبر به النبي – صلى الله عليه وسلم – من **الشحّ المطاع، والهوى المتبع، والدنيا المؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه**[١٦]. لم يحدث هذا

على مستوى الأمة كلها قط، قد يقع في فرد أو أفراد أو جهة، لكن الأمة فيها خير كثير، ولا يزال عند الناس استجابة، وقبول للدعوة، وإصغاء لصوت الناصح إذا تكلم بعلم وحكمة.

بل إننا نجد–في الأمم الكافرة اليوم كأمريكا وأوروبا وغيرها– أن من يحملون لواء الدعوة إلى الله يجدون من يستجيب لهم من الكفار، وفي مراكز كثيرة كانوا يذكرون لنا إحصائيات الذين يسلمون أسبوعياً ــ فكانت بالعشرات من الرجال والنساء.

وهذه الحقيقة التاريخية الواقــعية التي تثبت أن كل جهد له ثمرة هي أيضًا حقيقة شرعية، قال تعالى: **(فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنا لَهُ كَاتِبُونَ)** [الأنبياء: ٩٤] وقال تعالى: **(لِيَجْزِيَ اللهُ الصادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاء أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِن اللهَ كَانَ غَفُورًا رحِيمًا)** [الأحزاب: ٢٤]، وقال – صلى الله عليه وسلم –: "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا"(١٧)، وقال – صلى الله عليه وسلم –: "من سن في

الإسلام سنة حسنة، فعُمل بها بعده كُتب له مثل أجر من عمل بها، ولا ينقص من أجورهم شيء"(١٨).

فكل عمل له جزاء، وكل داع له أتباع.

المبحث الثالث

التواضع

وهو معرفة المرء قدر نفسه، وتجنب الكبر الذي هو **"بطر الحق وغمط الناس"**، كما قال – صلى الله عليه وسلم –، فيما رواه مسلم وغيره(١٩).

والتواضع في الأصل؛ إنما هو للكبير الذي يخشى عليه أن يكبر في عين نفسه؛ فيقال له:

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر
على صفحات الماء وهو رفيـع

أما الإنسان العادي فلا يقال له: تواضع، وإنما يقال له: اعرف قدر نفسك، ولا تضعها في غير موضعها!

روى الخطابي في "العزلة": أن الإمام الفذ عبد الله بن المبارك قدم خراسان، فقصد رجلاً مشهورًا بالزهد والورع، فلما دخل عليه، لم يلتفت إليه الرجل ولم يأبه به، فخرج من عنده عبد الله ابن المبارك، فقال له بعض من عنده: "أتدري من هذا؟" قال: "لا" قال: "هذا أمير المؤمنين في الحديث، هذا... هذا...

هذا... عبد الله بن المبارك"، فبهت الرجل وخرج إلى ابن المبارك مسرعًا يعتذر إليه، ويتنصل مما حدث، وقال: "يا أبا عبد الرحمن اعذرني وعظني" قال ابن المبارك: **"نعم، إذا خرجت من منـزلك فلا يقعن بصرك على أحدٍ إلا رأيت أنه خير منك"** وذلك أنه رآه معجبًا بنفسه، ثم سأل عنه ابن المبارك فإذا هو حائك[٢٠].

لقد لمح الإمام المربي أن في هذا المتزهد نوعًا من الكبرياء والغطرسة، والاستعلاء على الناس، وهو داء يسرع إلى المتعبدين أحياناً فزوده بهذه النصيحة التي تلائم حاله.

وكم نجد من بعض الصالحين، وربما الدعاة أحيانًا؛ بل ومن صغار الطلبة من يسيؤون الأدب مع شيوخهم وعلمائهم وأساتذتهم، وإنه لأمر يحز في النفس ويؤلمها! لا حرج أن تختلف مع عالم أو داعية في رأي أو اجتهاد، متى كنت أهلاً لذلك، لكن الحرج كل الحرج، أن يتحول هذا الاختلاف إلى معول لهدم مكانة هذا العالم، والحط من قدره، والإزراء عليه، وسوء الأدب معه. وإن جاز أن يقع هذا مع الدهماء والعامة، أو مع أهل البدعة

والضلالة فإنه لا يجوز بحالٍ أن يقع من أهل السنة ومن طلاب علم الشريعة:

قد رشحوك لأمر لو فطنتَ لـه
فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

إن علماء أهل السنة والجماعة خاصة مطالبون بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والاحتساب على علية القوم.. وإذا خذلهم أقرب الناس إليهم، فلا ينتظر منهم ذلك، فواحدهم كفارس شجاع ما خلفه إلا نساء.

ولو أن قومي أنطقتني رماحهم
نطقت ولكن الرمـاح أجرت

ولو أن أهل السنة حموا أعراض علمائهم، وعرفوا لهم قدرهم، والتفوا حولهم لأمكن لهم أن يقوموا بواجب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر على الوجه الصحيح، لكن لما خذل العالمَ من وراءه لم يستطع أن يقول شيئًا.

وكم هو مؤسف أن بعض أهل البدع على النقيض من ذلك؛ بل تصل الحال بهم إلى أن يمنحوا شيوخهم وملاليهم

وسادتهم نوعًا من القداسة، ويسيرون خلفهم بشكل مرفوض، هو في الحقيقة نوع من العبودية، وذوبان التابع في المتبوع.

وهذا ديدن الفرق الباطنية عبر العصور، حيث تربي أفرادها على منح قدر من "العصمة" لزعمائها وأئمتها.

وحتى المعتزلة -الذين يتعاطون بضاعة "العقل"، ولا يكاد يوجد عندهم للعواطف مكان- يقول أحد شعرائهم في شيخهم واصل بن عطاء:[٢١]

له خلف بحر الصين في كل بلـدةٍ
إلى سوسها الأقصى وخلف البرابر

رجالٌ دعاةٌ لا يفـ ـلّ عزيمهـم
تكـمُ جبّار ولا كيـدُ ماكر

إذا قال مروا في الشتاء تسارعـوا
وإن جاء حر لم يخف شهر ناجر

هم أهلُ دين الله في كل بلـدة
وأربابُ فتياها وعلم التشـاجر

وأهل السنة أولى بأن يقدروا ويوقروا علماءهم، ولا خير في أمة لا يُوقِّر صغيرُها كبيرها، ولا يرحم كبيرُها صغيرها[٢٢].

ضروب التواضع:

• التواضع مع العلماء:

من التواضع؛ بل من معرفة قدر النفس: ألا ينظر الشاب المبتدئ إلى نفسه على أنه ندٌّ لهذا العالم أو ذاك، ويقول: هم رجال، ونحن رجال!!

والحال أن الرجولة تختلف؛ فإن صفة الرجولة في القرآن الكريم سيقت مساق المدح في مواضع عدة؛ كما في قوله تعالى: **(وَالذِينَ اتخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَ إِنْ أَرَدْنَا إِلا الْحُسْنَى وَاللّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسسَ عَلَى التقْوَى مِنْ أول يَوْمٍ أَحَق أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبونَ أَن يَتطهرُوا وَاللّهُ يُحِب الْمُطهرِينَ)** [التوبة: ١٠٧-١٠٨] وقوله تعالى **(فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُو وَالآصَالِ رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا**

بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصلَاةِ وَإِيتَاء الزكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ) [النور: ٣٦، ٣٧].

وقد يعبَّر بالرجولة عن الفحولة والذكورية فحسب في مواضع أخرى، كما في قوله تعالى: (وَأَنهُ كَانَ رِجَالٌ منَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ منَ الْجِن فَزَادُوهُمْ رَهَقًا) [الجن: ٦] فالرجال ليسوا سواء، وأين الثَّرى من الثُّريا؟!

ولربما رأيت طُويلب علم لا يحفظ من القرآن إلا اليسير، ولا يكاد يحفظ حديثًا من البخاري أو مسلم بحروفه، فضلاً عن سنده ومعناه؛ ومع هذا قد يقف أمام جهابذة العلماء وكأنه أبو حنيفة أو الشافعي! وهِجِّيراه أن يقول: أرى، وأنا، وقلت، وعندي!

يقولون: هذا عندنا غير جائـز
ومن أنتم حتى يكون لكم عند؟!

- **تواضع المرء مع أقرانه:**

فكثيرًا ما تثور بين الأقران والأنداد روح المنافسة والتحاسد، وربما استعلى الإنسان على قرينه، وربما فرح بالنيل منه، والحطّ من قدره وشأنه، وعيبه بما ليس فيه، أو تضخيم ما فيه، وقد يظهر

ذلك بمظهر النصيحة والتقويم، وإبداء الملاحظات، ولو سمى الأمور بأسمائها الحقيقية لقال: الغيرة.

والعجب أن يغار الداعية من اجتماع ألف أو ألفين في مجلس علم أو دعوة، لكنه لا ينفعل لو سمع أن حفلاً غنائيًّا، أو مباراة رياضية حضرها عشرون أو ثلاثون ألفًا! وهذا –والله– من البؤس، حتى لو كنت لا ترضى من أخيك بعض الأمر، فيكفيك أنه يدعو إلى الله – عز وجل –، ويعلم الناس الدين، وهو على الجادة إجمالاً.

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها
كفى المرء نبلاً أن تُعدّ معايبـه

وقد يكون الحق معه في بعض ما انتقدته عليه.

- **تواضع المرء مع من هم دونه:**

فإذا وجدت أحدًا أصغر منك سنًّا، أو أقل منك قدرًا؛ فلا تحقره، فقد يكون أسلم منك قلبًا، أو أقل منك ذنبًا، أو أعظم منك إلى الله قربًا.

حتى لو رأيت إنساناً فاسقًا، وأنت يظهر عليك الصلاح؛ فلا

تستعلِ عليه، أو تعامله بأسلوب المتسلط المستكبر، واحمد الله على أن نجاك مما ابتلاه به، وتذكر أنه ربما يكون في عملك الصالح رياء أو عجب يحبطه، وقد يكون عند هذا المذنب من الندم والانكسار والخوف من خطيئته ما يكون سببًا في غفران ذنبه.

عن جندب – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حدّث: **" أن رجلاً قال: والله لا يغفر الله لفلان، وإن الله تعالى قال: من ذا الذي يتألى علي ألا أغفر لفلان فإني قد غفرت لفلان وأحبطت عملك"**(٢٣).

ولو شعر الناصح الداعية أنه قد يكون لهذا الفاسق طاعات ليست عنده، وأن عنده هو عيوبًا قد لا تكون عند صاحبه لعامله برفق، وتلطف معه في الدعوة مما يرجى أن يكون سببًا في القبول والذكرى.

- **عدم تعظيم المرء عمله:**

فمن التواضع ألا يعظم عملك في عينك؛ إن عملت خيرًا، أو تقربت إلى الله تعالى بطاعة، فإن العمل قد لا يقبل، قال تعالى: **(وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِن**

أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) [المائدة: ٢٧]؛ ولهذا قال بعض السلف: "لو أعلم أن الله قبل مني تسبيحة لتمنيت أن أموت الآن".

- **تواضع المرء عند سماع النصيحة:**

ومن ذلك التواضع عندما تسمع نصيحة: فإن الشيطان يدعوك إلى ردّها، وسوء الظن بالناصح؛ لأن معنى النصيحة أن أخاك يقول لك: إن فيك من العيوب كيت وكيت:

وكم مرة أتبعتكم بنصيحتي
وقد يستفيد البغضة المتنصح

أما من عصمه الله تعالى، فإنه إذا وجد من ينصحه، ويدلُّه على عيوبه، قهر نفسه، وقبل منه، ودعا له وشكره.

ولهذا قال – صلى الله عليه وسلم – في تعريف الكبر: **"الكبر بطر الحق وغمط الناس"**(٢٤). يعني: ردّ الحقّ، وبخس الناس أشياءهم.

فالمستكبر صاحب نفسية متعاظمة، لا يكاد يمدح أحداً أو

يذكره بخير، وإن احتاج إلى ذلك شفعه بذكر بعض عيوبه، أما إن سمع من يذكِّره بعض عيوبه، فهيهات أن ينصـــاع أو يلين، وما ذاك إلا لمركب النقص في نفسه؛ ولهذا كان من كمال الإنسان أن يقبل النقد والملاحظة بدون حساسية أو انزعاج، أو شعور بالخجل والضعف، وها هو أمير المؤمنين عمر – رضي الله عنه – يحمل الراية، ويرفع الشعار قائلاً: **"رحم الله امرءًا أهدى إلينا عيوبنا"**.

* * *

المبحث الرابع

العدل

والعدل لفظ عام يعني التوسط الذي هو سمة المسلمين، وسمة أهل السنة والجماعة في الأمور كلها دون استثناء، وهي إعطاء كل ذي حق حقه.

مجالات العدل وصوره:

ومجالات العدل وصوره كثيرة جدًّا، ليس من الميسور حصرها، لكن هذه بعض النماذج المهمة منها.

- **العدل مع العدو والصديق:**

فالكثير من الناس إذا ذكر له صديقه أثنى عليه، ولو كان يعلم أنه لا يستحق ذلك الثناء، وإذا ذكر له خصمه ذمّه، ولو كان يعلم أنه خلاف ما يقول.

فهل يستطيع الداعية أن يذكر العيوب الموجودة في أقرب الناس إليه، ممن يكون مثله في المنهج والطريقة، أو يكون شريكًا له في عمل ما؟ وهل يستطيع أن يثني بصدق على إنسان يختلف معه في بعض الأمور؟

إن كان يستطيع ذلك فقد حقق العدل في هذا الجانب، ولكن أكثر الناس يجورون على خصومهم، فيذموهم بما ليس فيهم، ويجورون أيضاً على أصدقائهم، فيمدحوهم بما ليس فيهم. وهذا وإن كان مظهره مظهر المحبة والثناء إلا أن حقيقته الجور والذم، فمن أثنى عليك بما ليس فيك فقد ذمّك؛ لأن الناس يطلبون هذه الخصلة فيك فلا يجدونها فيذمونك على فقدها. والله تعالى قد أمرنا بالعدل حتى مع الأعداء فقال: **(ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألاّ تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى)** [المائدة: ٨].

ومن المحزن أننا وإن سلّمنا بذلك نظريًّا، إلا أننا من الناحية العملية سرعان ما ننسى هذا الدرس، فحين نقف على ما نعدّه – نحن– خطأ من فلان نسقطه من الحساب، ولا نعبأ به، ولا نلتفت إليه، وكثيرًا ما تُنْسِيْنا محاسنُ الشخص الكثيرة عيوبَه القليلة، أو تنسينا عيوبه الكثيرةَ محاسنه القليلة؛ لا بل الأمر أدهى وأمر! فلعل الحقيقة أنه كثيرًا ما تُنْسِيْنا العيوب القليلة المحاسن الكثيرة، وننسى القاعدة الشرعية: **"إذا كان الماء قلتين لم يحمل الخبث"**[٢٥].

- **العدل في تقويم الكتب:**

فحينما تقوّم كتابًا فليس من العدل أن تقول: إنه يحوي أحاديث موضوعة أو ضعيفة –مثلاً– أو آراء شاذة، فتذكر هذا الجانب المظلم، وتنسى جانبًا آخر موجودًا في الكتاب، وهو أنه يحوي توجيهات مفيدة، أو أبحاثًا علمية. إن ذكرك لنصف الحقيقة، وإهمال النصف الآخر منها ليس من الأمانة.

والكثير من الناس بمجرد أن يرى خطأ في كتاب ما، يحذَره ويحذّر منه؛ لأنه ساق حديثًا ضعيفًا، أو أخطأ في مسألة، ولو عاملنا كتب أهل العلم بهذا المقياس ما بقي لنا كتاب.

صحيح البخاري –وهو أصحّ الكتب بعد كتاب الله تعالى– هل حاز على الكمال المطلق؟ كلاّ، فقد بيض لبعض المواضع، لم يضع تحت بعض الأبواب أحاديث، وفيه أحاديث معلقة غير موصولة، وفي بعض روايات الصحيح اختلاف.

ولا يخلو كتاب بعد كتاب الله من النقص والخطأ، فلا ينبغي أن نذكر عيوب كتاب ومثالبه، إلاّ ونذكر إلى جانبها محاسنه ما كانت له محاسن.

• العدل في الحكم على الدعوات والحركات:

منذ سقوط الخلافة الإسلامية، قامت في العالم الإسلامي دعوات وحركات كثيرة تهدف إلى استئناف الحياة الإسلامية والحكم الإسلامي، أو إلى استمرار الدعوة بين غير المسلمين، أو إلى إحياء السنة...، أو ما شابه ذلك من الأهداف النبيلة. وهذه الدعوات تختلف في منهاجها وأسسها وأهدافها، وتختلف في قربها أو بعدها عن منهج الكتاب والسنة.

وقد تحدث كثيرون عن هذه الدعوات، ودرسوها من جوانب مختلفة، والأمر الذي تكاد تفقده في كثير من هذه الدراسات هو العدل، فكثير من الكُتّاب ما بين منتمٍ لهذه الدعوة، معجب بمناهجها وطرائقها، فهو يكيل لها المدح كيلاً، ويدعي وصلاً بليلى! وآخر متحامل عليها لا يرى فيها إلا كل نقيصة، وبين هذا وذاك تضيع الحقيقة.

والله تعالى يحب العدل، ويكره الجور، ومن قصّر في جانب فلا يلزم أن يكون مقصرًا في كل جانب، ولا يسوغ أن تنسيك سيئاتهم الكثيرة حسناتهم القليلة.

أحيانًا تسمع البعض يتحدث عن فئة من الدعاة إلى الله، فيحولهم إلى مجموعة من الشياطين، حتى يفسّر نطقهم بالشهادتين تفسيرًا يصرفه عن معناه المباشر الظاهر، ويؤول تصرفاتهم تأويلاً قد يصدق في بعضها، ولا يصدق في كثير منها، والتعميم في هذا الموضع خطأ؛ بل يجب لمن تصدى للحديث عن الدعوات ومناهجها التفصيل والدقة، وضبط العبارة، وذكر الجوانب المشرقة إلى جوار الجوانب المعتمة.

وأئمة أهل السنة والجماعة كانوا يذكرون أهل البدعة، فيذمونهم ويحذرون منهم، لكنهم يذكرون مع ذلك مقاماتهم في الرد على من هو أشد منهم بدعة، أو في دعوة بعض الكفار إلى الدخول في الإسلام- بحيث يتحولون من كفار إلى مسلمين مبتدعين، وهذا خير من بقائهم على الكفر الصريح بلا ريب- أو في ردّ بعض هجمات الأعداء العسكرية، أو في أعمال خيرية قاموا بها.

فمن العدل ألا نتجاهل بدعتهم بحجة أنهم أحسنوا في أمور، كما لا نتجاهل حسناتهم بحجة أنهم أصحاب بدعة؛ بل نجمع بين الأمرين.

- **العدل في النظر إلى الجهود والأعمال الدعوية:**

هناك جهود في ميدان الدعوة إلى الله تعالى لا ترتبط بفئة معينة، فهي عمل جهادي أو دعوي تضافرت عليه همم المؤمنين، أو طوائف منهم، وهي جهد بشري يخطئ ويصيب، وليس له من العصمة نصيب؛ ولذلك فإن من المصلحة الظاهرة أن تقوَّم هذه الأعمال تقويماً صحيحًا معتدلاً، يحقق الانتفاع بالإيجابيات وتوسيعها وتعميقها، وتلافي السلبيات والخلاص منها؛ لئلا تتكرر الأخطاء نفسها، ويعود المسلمون من حيث بدؤوا.

ولكن هذه المصلحة الظاهرة قد تضيع بين طرفين:

طرف يرى هذا العمل كاملاً لا عيب فيه، فيرمي بسهام الاتهام والشك كل من يوجه نقدًا أو ملاحظة له.

وطرف لا يبصر إلا العيوب، حتى لا يكاد يرى في هذا العمل شيئًا يمكن الانتفاع به!

خذ مثلاً: **الجهاد الأفغاني:** جهاد ما يزيد على عشر سنوات من العرق، والدمع والدم، والتضحية والسهر والعناء! قد تجد من يصوره على أنه خالٍ من الأخطاء، بريء من العيوب، حتى كأنه جهاد الصحابة رضوان الله عليهم، ولا يقبل فيه النقد والتوجيه

والملاحظة. وفي المقابل قد تجد من يتحدث عن المجاهدين، فيصمهم بالجهل والبدعة دون تروٍّ أو تفصيل، ويتعلل بأن منهم من يعلق التمائم، أو بأن عندهم بدعًا في بعض المساجد؛ بل تجاوز الأمر أن صرّح أحدهم قائلاً: هؤلاء مشركون يحاربون ملحدين.

وقرأت بخط أحدهم تعليقاً طائشًا عن إحدى الجماعات السلفية هناك، بأنّ من لم يكفرهم فهو كافر! فإذا كان هذا حكمه على فئة سلفية، فما بالك بغيرها؟! أين ميزان القسطاس الذي وضعه الله لهذه الأمة؟ وهل هذا هو الاتباع الحقيقي لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – الذي كان يعرف للناس أقدارهم، ولا يبخسهم أشياءهم، وكان يثني على الإنسان بما فيه من خلال الخير –إذا كان ثم مصلحة– ولو لم يسلم من الأخطاء! أليس قد أثنى – صلى الله عليه وسلم – على النجاشي، ووصفه بأنه **"ملك لا يظلم عنده أحد"**[٢٦] مع أنه حينها كان كافرًا لم يسلم بعد؟!

إن هناك فئة من الدعاة قد تنظر بعين واحدة، إما بعين الرضا فتنسى العيوب والأخطاء ، وإما بعين السخط التي لا ترى إلا المساوئ.

وعين الرضا عن كلّ عيبٍ كليلةٌ

ولكن عينَ السخط تبدي المساويا
إذا كـان المحـب فليـلَ حـظ
فـمـا حسناتُـه إلا عيـوبـا

ويجب أن يتطلع الدعاة إلى الأحكام العادلة التي تمسك الميزان من وسطه، وتنظر نظرة معتدلة متوازنة تحرص ألا تتأثر بالعواطف سلبًا أو إيجابًا، قال تعالى: **(ولا يجرمنكم شنآن قومٍ على ألاّ تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى)** [المائدة: ٨].

- **العدل في التعامل مع النصوص الشرعية:**

وهذه النصوص المحكمة كلها دين يجب قبوله وطاعته والإيمان به، وليس شيء منها مهجورًا، ما دام محكمًا غير منسوخ.

ومن العدل أن تتوازن في النظر إلى هذه النصوص، فلا تأخذ منها نوعًا وتهمل نوعًا آخر، خاصة النصوص الواردة في موضوع واحد، أو في موضوعين متقابلين.

مثال: نصوص الوعد والوعيد: هناك من يأخذ نصوص الوعيد كحديث **"لا يدخل الجنة قاطع"**[٢٧]، أو **"لا يدخل الجنة قتات"**[٢٨]، أو **"كُفر بالله ادعاء إلى نسب لا يعرف، وكفر بالله**

تبرؤ من نسب وإن دق"[٢٩] أو.. أو.. ويبني على ذلك تكفير الخلق بهذه الأعمال ونحوها؛ اعتمادًا على ظواهر هذه النصوص، وينسى أو يتناسى النصوص الأخرى الواردة في الوعد والرجاء، كحديث عتبان: **"فإن الله حرّم على النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله"**[٣٠]، أو **"من شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبد الله ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حقّ، وأن النار حقّ، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل"**[٣١].

وفي الطرف الآخر، هناك من يعكس المسألة، فيأخذ نصوص الرجاء وحدها، ويؤمّن الناس من مكر الله، ويغفل نصوص الوعيد كقوله تعالى: **(فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـذَا الأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لا يِقُولُوا عَلَى اللّهِ إِلا الْحَقَ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِلذِينَ يَتقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ)** [الأعراف: ١٦٩].

والعدل أن نأخذ بهذا وذاك، ونضع هذه في كفة، وتلك في

أخرى حتى يعتدل الميزان ويستقيم.

ومن العدل مع النصوص الشرعية العدل بين الكليات والجزئيات، فالدين كله لله، وليس فيه شيء يجوز أن يُهوّن من شأنه، أو أن يتجاهل أو يهمل؛ ولهذا قال — صلى الله عليه وسلم – لما أجاب جبريل عن الإيمان والإسلام والإحسان: **"هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم"**(٣٢).

ولذا لو أنكر الإنسان أمرًا معلومًا من الدين بالضرورة، متواترًا قطعي الثبوت لكان بذلك كافرًا، ولو كان هذا الأمر الذي أنكره سنة أو فرض كفاية، كركعتي الفجر والأذان ونحوهما.

فليس في الدين "قشور" أو "توافه" كما يحلو لبعض المتعجلين، والهاجمين على القول –بدون ثبت ولا روية– أن يعبروا؛ إنما هناك أولويات كالبُداءة بأمور العقيدة، وتقديم الكليات على الجزئيات. فأنت حين ترى على إنسان مجموعة أخطاء، فمن الحكمة أن تبدأ بالخطأ الأكبر قبل الأصغر، فليس يسوغ أن تلومه على بعض الأذكار المسنونة، وهو يخل بواجبات الصلاة أو أركانها، وليس يسوغ أن تبدأ معه رحلة النصيحة بنهيه عن التدخين، وهو يقع في الشرك.

والتدرج في الدعوة ثابت في وصية النبي — صلى الله عليه وسلم – لمعاذ حين بعثه إلى اليمن فقال: **"إنك تأتي قومًا أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم، فُترد على فقرائهم..** الحديث"(٣٣).

فتقديم الأهم فالمهم شريعة نبوية، كانت جزءًا من منهجه — صلى الله عليه وسلم – في الدعوة العملية، وهي جزء من وصيته لصحابته المبلغين عنه.

وبعض الدعاة المخلصين قد تتحول عنايتهم، وينصب اهتمامهم على مجموعة مسائل جزئية، هي مهمة دون شك، لكن ثمة ما هو أهم منها. وليست مهمة الناصح أن يصرف اهتمام الدعاة عنها بالكلية، أو يزهدهم فيها.. كلاّ؛ بل مهمته أن يعمل على وضعها في مكانها الطبعي الذي يليق بها، ووضع المسائل الأخرى التي تكبرها في مكانها الطبعي أيضًا.

كنت يومًا أشرح للطلاب في دروس "بلوغ المرام" حديث أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه –: "**إذا أتى أحدكم المسجد فلينظر في نعليه، فإن رأى فيهما أذى فليمسحه، وليصل فيهما**"(٣٤)، فرأيتها فرصة مناسبة لشرح المنهج المرضي في مثل هذا الحديث:

فأولاً: ذكرت السنن الواردة عن الرسول – صلى الله عليه وسلم – في مسألة الصلاة في النعلين وهي إجمالاً خمس:

الأولى: **أنه – صلى الله عليه وسلم - كان يتعمد أحيانًا خلع نعليه في الصلاة**، كما في حديث عبد الله بن السائب: "رأيت النبي – صلى الله عليه وسلم – يصلي يوم الفتح ووضع نعليه عن يساره"(٣٥).

الثانية: **صلاته – صلى الله عليه وسلم - في النعلين**، كما في حديث أبي سعيد، ومثله ما رواه أبو مسلمة سعيد بن يزيد الأزدي قال: "سألت أنس بن مالك – رضي الله عنه –: أكان النبي – صلى الله عليه وسلم – يصلي في نعليه؟ قال: نعم"(٣٦).

الثالثة: **أنه كان – صلى الله عليه وسلم - يصلي حافيًا ومنتعلاً**، كما في حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: "رأيت النبي – صلى الله عليه وسلم – يصلي حافيًا ومنتعلاً"(٣٧) يعني: تارة هكذا، وتارة هكذا.

الرابعة: **الأمر بوضع النعلين بين رجليه**، ولا يضعهما عن يمينه ولا عن يساره، إلا إذا لم يكن عن يساره أحد فله أن يضعهما عن يساره، كما في حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – "**إذا صلى أحدكم فلا يضع نعليه عن يمينه ولا عن يساره؛ فتكون عن يمين غيره إلا أن لا يكون عن يساره أحد، وليضعهما بين رجليه**" (٣٨).

الخامسة: **الأمر بالصلاة فيهما**، كما في حديث شداد بن أوس – رضي الله عنه –: "**خالفوا اليهود، فإنهم لا يصلون في نعالهم ولا خفافهم**"(٣٩).

ثم ثنيت: بذكر آراء الفقهاء في المسألة، وهي ثلاثة:

الأول: من يقول بالكراهة، نُقل ذلك عن ابن عمر وأبي موسى الأشعري.

الثاني: من يقول بالاستحباب، وهو مذهب الأكثرين: كعمر،

وعثمان، وعلي، وأنس، وابن مسعود، وعطاء، ومجاهد، وطاوس، وشريح.. الخ.

الثالث: من يقول بالجواز إذا لم يكن فيها نجاسة، كما رجحه الخطابي، وابن دقيق العيد، وابن بطال، والنووي، وغيرهم. أي: ليست الصلاة في النعل بمستحبة عندهم، وزعم ابن دقيق العيد أن ملابسة النعل للأرض التي تكثر فيها النجاسات يقصر به عن أن يكون زينة يستحب أخذها للصلاة.

ثم ثلّثت: بالترجيح بين هذه الآراء لما يقتضيه الدليل الصحيح الصريح: وهو استحباب الصلاة في النعل، على أن يراعى في ذلك أمور:

الأول: أن ينظر فيها، ويطمئن إلى سلامتها من الأذى أو القذر، كما أمر به – صلى الله عليه وسلم – في حديث أبي سعيد(٤٠).

الثاني: ألا يترتب على ذلك تشويش أو تشويه، فإن رفع الأصوات في المساجد، والجدل العريض، والهجر في المقال، وامتلاء الصدور بالكراهية والبغضاء، والتدابر؛ بل وترك الصلاة مع الجماعة إمعانًا في التعبير عن الغضب، كل ذلك قد يفعله بعض الناس ممن كان يحتاج إلى تأليف قلوبهم. وفي بعض

المجتمعات يفرح أعداء الدعوة، وأعداء المنهج الصحيح بمثل هذه الأعمال، ويستغلون جهل الناس بالسنة ليلصقوا بالدعاة التهم الباطلة، وينفروا الناس منهم.

الثالث: ضرورة ترتيب الأولويات، فنحن نريد تصحيح عقائد الناس، وتحذيرهم من ألوان الشرك الظاهر والخفي، ونريد حمل الناس علي فعل الفرائض والواجبات، والامتناع عن المحرمات، كما نريد حثهم علي الالتزام بالسنن والمستحبات، وترغيبهم في تجنب المكروهات. وليس يصح في النظر السليم أن أُصرَّ على تعليم الناس سنة من السنن مهما كلف ذلك من جهد؛ لتكون النتيجة أن يرفضوا هذه السنة بجهلهم، ثم يرفضوا من دعاهم إليها فلا يقبلوا منه صرفًا ولا عدلاً.

وسُلَّم الأولويات الشرعية يبدأ بتعليم أصول العقيدة، ثم فعل الفرائض وترك المحرمات، ثم أداء السنن وترك المكروهات، وهي كالضروريات، ثم الحاجيات، ثم التحسينيات.

وباختصار: نحن بحاجة إلى "درء التعارض" بين العناية بالكل والعناية بالجزء، وإزالة الفكرة الكاذبة التي توحي بأن الاهتمام بالكليات يلزم منه إهمال الجزئيات، أو العكس، وأن نجمع اهتمام

الدعاة على نسق واحد، يعطي كل ذي حق حقه.

وليس عيبًا أن يدرس الداعية أو يدرِّس هذه السنن التي ينكرها الناس: كتقصير الثياب إلى وسط الساق، أو جلسة الاستراحة في الصلاة، أو تحريك الإصبع في التشهد...؛ بل هي مسائل ورد فيها نصوص شرعية ينبغي للمتخصص أن يكوِّن منها رأيًا واجتهادًا، شريطة ألا تلهيه عن غيرها، كما يدرّب الشباب على تطبيقها في خاصة أنفسهم، وفيمن يقبل منهم، ويأخذ عنهم، وفي الأزمنة المناسبة، وفي الأمكنة المناسبة، ويتركوها -احتسابًا لوجه الله- حين يرون المصلحة الشرعية في تركها، وليس خوفًا من ألسنة الناس أو أقوالهم على أشخاصنا.

فإن أبي ووالـدَه وعرضـي
لـعرض محمدٍ منـكم وفاءُ

وليس من العدل أن نكتب في موضوع جزئي ما يزيد على أربعة عشر بحثًا، في حين نترك الوقائع والنوازل الكبيرة في الأمة يسير الناس فيها على غير هدى، ويتخبطون بآرائهم الشخصية، أو باجتهادات ناقصة لم تتوافر فيها آلات الاجتهاد الصحيح.

وهناك من يقع في الخطأ المقابل، فيشتغل ببعض الكليات، ويقلل من شأن الجزئيات، يقول أحدهم: أنا سلفي، وعندما أنظر إلى شخصية عمر – رضي الله عنه – أنظر فيها إلى عمر الذي نشر العدل بين الناس، عمر الذي كان يقول: **"لو عثرت بغلة في العراق لشعرت أن الله سائلني عنها، لِمَ لَمْ تسوّ لها الطريق يا عمر؟"** ولست أنظر إلى شخصية عمر الذي يقصر ثوبه ويطيل لحيته، كما ينظر إليه بعض الصبية!!".

يا سبحان الله! ولماذا نشطر شخصية عمر – رضي الله عنه – فنجعل منها "عُمَرين": عمر العادل المجاهد المتحمل لمسؤولية البغلة بالعراق، وعمر الملتزم بالسنة في هيئته وثوبه وعمله؟ حاشا عمر – رضي الله عنه –، فإنه ما كان يؤمن بهذه الثنائية وهذا الانشطار، وإليك الدليل:

لما جاء عقبة بن عامر – رضي الله عنه – يبشره بفتح الشام -وقد ركب إليه أسبوعًا من الجمعة إلى الجمعة حتى وصل المدينة-، فكبّر لذلك، وسرّ المسلمون من هذا النصر المؤزر. قال عقبة – رضي الله عنه -: "قدمت على عمر بفتح دمشق، وعليَّ خفان، فقال لي عمر: كم لك يا عقبة منذ لم تنـــزع خفيك؟

فتذكرت من الجمعة إلى الجمعـــة، فقلت: منذ ثمانـــية أيام، قال: **" أحسـنت وأصـبت السنة"**[٤١]. والأثر صحيح كما يقول ابن تيمية[٤٢] وغيره.

فلم يكن اشتغال عمر – رضي الله عنه – بمسألة الفتوح وإخضاع العالم بحكم الإسلام ـ مانعًا له عن بحث مسألة فرعية جزئية –في نظر البعض– وبيان السنة فيها حسب رأيه واجتهاده.

وحين كان أمير المؤمنين في فراش الموت، كان همّ الخلافة من بعده مما يقلق باله، وبال أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، ومسألة الخلافة مصلحة عامة جوهرية خطيرة، لكنها – على أهميتها– لم تشغل عمر عن المباحثة والمفاهمة في بعض الجزئيات، فكان مما فعل –وهو طعين– أنه دخل عليه غلام من الأنصار، فأثنى عليه خيرًا، فلما خرج رأى عمر في ثوبه طولاً، فقال: "ردّوا عليَّ الغلام"، فردوه فقال له: **"ياابن أخي، ارفع ثوبك؛ فإنه أنقى لثوبك، وأتقى لربك"** [٤٣]، وبعد لحظات التفت إلى من حوله من الصحابة فقال لهم: "ما تقولون في مسألة إرث الجد مع الإخوة؟" فتحدثوا، وفي القوم عثمان بن عفان – رضي الله عنه –، فقال عمر – رضي الله عنه –: "إني قد رأيت

في الجد رأيًا، فإن رأيتم أن تتبعوه فاتبعوه" قال عثمان – رضي الله عنه –: "إن نتبع رأيك فإنه رَشَد، وإن نتبع رأي الشيخ قبلك[٤٤] فلنعم ذو الرأي كان"[٤٥].

هذا هو عمر – رضي الله عنه –، تنسجم عنده الكليات مع الجزئيات في مزيج عذب، لا يطغى فيه لون على لون، ولا طعم على طعم، وفي بناء متكامل لا يغني فيه شيء عن شيء.

- **العدل في النظرة الشمولية للإسلام:**

فالدين جاء ليحكم شؤون الحياة كلها، على مستوى الفرد والجماعة، وفي الجوانب الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والعلمية، وسواها... وقد عاب الله تعالى على بني إسرائيل ووبخهـــم بقـــوله: **(وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ)** [المائدة: ١٤].

فالتحزب على جزء من الدين، ونسيان الأجزاء الأخرى هو من ميراث الأمم الهالكة، ومن أعظم أسباب الفرقة والخلاف بين الدعاة:

فتجد طائفة من المسلمين تهتم **بالإسلام التعبدي**، فتعنى بقيام الليل، وكثرة الذكر، وقد تضيف إلى ذلك بعض الترتيبات التي لا أصل لها في الشرع، وربما تسرب إليها شيء من التصوف العجمي الانعزالي، حتى لقد حدثني أحدهم بلهجة المسرور أن أحد الجواسيس الغربيين جلس معهم طويلاً ثم كتب عنهم أن هؤلاء لا ضير منهم، فهم يتحدثون فيما تحت الأرض وفيما فوق السماء!! تبارك الله!! في القبر، والموت، والعذاب، والنعيم، وفي الله، والملائكة، والآخرة..، أما ما فوق الأرض فلا شأن لهم به.

وتجد طائفة أخرى تهتم **بالإسلام السياسي**، فجهادهم هو في ميدان تكوين الأحزاب السياسية، وحشد الأنصار، والفوز بالانتخابات، والدخول في المجالس والبرلمانات، وتربية الشباب على الجهاد السياسي.

وتجد فئة ثالثة عنيت **بالإسلام العلمي**، فهي تتعلم السنة والحديث، وتشتغل ببيان صحيحها من سقيمها، وتحذر الناس من رواية الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وقد يصحب ذلك شيء

من الجفاء، أو ضعف التعبد، أو الغفلة عن واقع الأمة وما يدبر لها.

وقبل أن يسبق إلى ذهن أحد معنى يكرهه أبادر وأقول:

أولاً: الإسلام يشمل الجوانب الثلاثة كلها وغيرها، فهو دين جاء ليربط العبد بربه تعبدًا ورجاء وخوفًا؛ ومن ثم جاءت الشعائر التعبدية. وهو دين جاء ليحكم حياة الناس ويدير شؤونهم، فليس كهنوتًا ولا رهبانية، ولا عزلة عن واقع الحياة، والسياسة جزء لا يتجزأ من الإسلام، فالجهاد في هذا الميدان بكل وسيلة مباحة مؤدية للغرض المقصود يجب أن يكون جزءًا من همّ الداعية. وهو دين جاء ليضبط التعبد، ويضبط الحركة في واقع الحياة بضابط الكتاب والسنة، فلا يكون هناك مجال للعواطف المجردة، ولا للأمزجة الشخصية، فلابد من العلم بالكتاب والسنة حتى نصحح عباداتنا وأعمالنا... إذًا كل هذه المجالات مما جاء الدين بالدعوة إليه، والحث عليه.

ثانيًا: قد يعجز فرد أو أفراد أن يحيطوا بهذه الأمور كلها في دعوتهم إلى الله تعالى، فالطاقة محدودة إذا صرفت لشيء فربما بخست شيئًا آخر، أو أضرّت به، فضلاً عن أن ما رُكّب عليه الناس من الطبائع والنظرات ونوعية الاهتمامات قد يجعل الإنسان

بطبعه أميل إلى أحد هذه الأمور.

فمثلاً قد يكون في الإنسان زهد ونسك وخير كثير، لكنه لم يرزق آلة العلم الشـــــرعي، فليس من أهله، وهنا نقول:"**قد علم كل أناس مشربهم**" [البقرة: ٦٠]، ونقول: "**كل ميسر لما خلق له**"(٤٦)، وقد كان من أصحاب محمد – صلى الله عليه وسلم -: الفارس المقاتل الشجاع كخالد بن الوليد – رضي الله عنه -، إلى جوار العالم المجتهد الفقيه كابن عباس وابن مسعود – رضي الله عنهما -، إلى جوار المتعبد المتزهد الذي يصيح بالناس قولاً وفعلاً: لا تركنوا إلى الدنيا كأبي ذر – رضي الله عنه -... ومن مجموع هذه الشخصيات وغيرها يتكون البناء الإسلامي المتكامل.

وقد يوجد فيه من يكونون مجمعًا للفضائل -وهم قليل- فعلى نطاق الصحابة – رضي الله عنه - تجد أمثال: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ، وغيرهم... وهم من الصحابة أكثر منهم فيمن جاء بعدهم.

ثالثًا: يجب أن يكمل بعضنا بعضًا، وألا يكون تنوع الاهتمامات مدعاة للتطاحن والتناقض والتنابز، واتهام كل طرف للآخر: فهذا يتهم ذاك بالجهل، وذاك يتهم هذا بالإغراق في بحث الجزئيات

والغفلة عن واقع الحال، والثالث يتهم الآخرين بالجفاء والجفاف، والركون إلى الدنيا وهكذا.. كلا؛ بل يقول كل مؤمن لأخيه: إنه قام بما قصرّ فيه هو من فروض الكفايات، وسدَّ عنه ثغرة ما كان يستطيع سدّها، ويدعو له بظهر الغيب، ويحمي ظهره من طعن الطاعنين.

فلا نتحزّب على جزء من الدين، ونحارب من يهتم بجزء آخر؛ بل إن قصّرنا في أمر شكرنا من يقوم به عنا، وشتان بين الأمرين.

رابعًا: يجب ألا يشغلنا ما نذرنا أنفسنا له -من علم أو تعبد أو جهاد سياسي أو غير ذلك- عن الجوانب الأخرى أن نأخذ منها بنصيب، فليس يسوغ لداعية -أيًّا كان- أن يجهل ما يكون تعلمه فرض عين على كل مسلم: كمعرفة العقيدة الصحيحة، ومعرفة أحكام الوضوء، والصلاة، والصيام، ونحوها...، ومعرفة ما يحتاجه في حياته العملية: كآداب المعاشرة للمتزوج، وأحكام الزكاة والتجارة لأرباب الأموال، والأحكام المتعلقة بالعمل أو المهنة: كالطب، أو الهندسة، أو غيرها...

وهذا هو العاصم -بإذن الله- عن أن يكون اهتمامنا بشيء ذريعة إلى الغلو فيه وترك ما عداه؛ فإن العناية بالعبادة إذا لم يصاحبها علم شرعي صحيح مبني على الدليل من الكتاب والسنة قد تؤدي إلى التردي في مهاوي التصوف.

والعناية بالدعوة إذا لم تُبنَ على فهم صحيح، ومدارسة للنصوص، وتحصيل علمي قد تؤول إلى جمع الناس على بدعة، أو حشدهم على غير شيء، وهكذا...

- **العدل مع الواقع:**

فالبعض من الدعاة يعيش في هذا العصر، وكأنه في القرن الخامس الهجري! لا يعرف عصره، ولا يدري ما يقع حوله، ويفاجأ بالأحداث كما يفاجأ بها رجل الشارع!

صعد خطيب من الخطباء في إحدى القرى وفي يده كتاب يقرأ منه، فكان مما قال في آخر خطبته أن دعا لأمير المؤمنين السلطان العثماني فلان: أن يخلّد الله ملكه، ويؤبد سلطانه!! ولم يدر أن جسد هذا الخليفة أصبح طعامًا للديدان في قبره، وأن ملكه أصبح نهبًا للشرق والغرب.

وهذه الصورة الصارخة من الغيبوبة قد لا تتكرر كثيرًا، لكن ثمة صور ألطف منها تتكرر بصفة دائمة.

أحد الشباب سألني قائلاً: حزب البعث، ما هو حزب البعث؟ ما هي عقائدهم الأخرى غير مسألة الكفر بالبعث؟! لقد ظن أخي أن سبب تسميته بحزب البعث أنه يكفر بالبعث، كما سمّي القدرية لأنهم ينكرون القدر!!

إن المسلم قيّم على عصره، وشاهد عليه، فهو يعيش هموم المجتمع، ويدرك تيارات الفكر واتجاهات السياسة، ويحرص على إيجاد الحلول الصحيحة للوقائع الجديدة، وعلى مقاومة الانحرافات بعد معرفتها وإدراك جذورها، ولن يستطيع نقض مناهج الفكر الغربي من لا يعي جذورها وظروفها ومنطلقاتها.

وليس من الضروري أن يصبح كل داعية كذلك، لكن لابدّ أن يَنْفُرَ من المؤمنين طائفة ليقوموا بهذه الفريضة، وعلى المستوى العام لابد أن يكون للداعية نافذة على الواقع يدرك من خلالها أهم الأحداث المحيطة به، ويستطيع أن يكون مرشدًا للناس إلى السلوك الصحيح حيالها.

وفي مقابل أولئك المنعزلين عن الواقع يوجد من يحوّل هذا النـــزول للواقع إلى نوع من الانهزامية، والبحث عن المسوغات والمبررات؛ ليقول: إن ما عليه الناس موافق للإسلام، أو يحاول التخلي عن بعض الأمور الشرعية مجاملة للواقع، أو خضوعًا لضغطه النفسي.

والعدل هو: التعرف على الواقع، ومحاكمته إلى دين الإسلام، وتصحيح انحرافاته بحسب الإمكان.

- **العدل في التعامل مع الخلاف:**

الخـــلاف من طبيعة البشـــر، كما قال تعالى:"**ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربّك**" [هود: ١١٨، ١١٩]. ولا شك أنه يختلف ويتفاوت باختلاف النيات والمقاصد، واختلاف العقول والمدارك، واختلاف العلوم، والتعامل مع الخلاف يتطلب موقفًا شرعيًّا.

بعض الدعاة يدعون إلى وحدة الصف، وجمع الكلمة، ونسيان الخلاف دون تحديد ضابط دقيق لمن يمكن الوحدة معه، ومن تجب مفاصلته لبدعته وضلاله وانحرافه.

وفي الطرف الآخر هناك من يبالغ في الشروط، حتى ليريد من

الناس أن يوافقوه في كل شيء، حتى في اجتهاداته الشخصية الفردية، وآرائه الخاصة، فإذا خالفه أحد في بعض ذلك أعرض عنه، واتخذ منه موقف المناوئ، وأصبح لا يأبه به، ولا يقيم له وزنًا.

والعدل يقتضي تقبل الخلاف فيما يسوغ الخلاف فيه: كالوسائل الدعوية، والفرعيات، والأحكام التي اختلف فيها السابقون..، ونحو ذلك مما بُني على اجتهاد شرعي في فهم النصوص، لا على مجرد الميل والتشهي، فمثل هذا يحتمل، ويكون الأمر فيه واسعًا.

أما التسامح مع أهل البدع الاعتقادية الغليظة، والانحرافات الجوهرية بحجة توحيد الصف فمسلك تلفيقي لا يمتّ إلى العقل ولا إلى الشرع بصلة.

وأما مطالبة الناس بالاتفاق على كل شيء، وألا يختلفوا في شيء ألبتة فضرب من المحال والخيال، لا يتصور إلا في عقول السذّج.

* * *

المبحث الخامس

العاطفة الحية

نحن بحاجة إلى داعية يملك قلبًا يحترق على واقع الإسلام والمسلمين، وعلى أوضاع الأمة في مشارق الأرض ومغاربها، ويعطف علي إخوانه، ويحقق قوله سبحانه: **(مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا)** [الفتح: ٢٩]، ولا يكون شأنه شأن الخوارج في الدهر الأول: الذين يقاتلون أهل الإيمان، ويدعون أهل الأوثان.

إن المؤمن ينبغي أن يكون شديدًا على الكفار رحيمًا بالمؤمنين، ويحقق في نفسه قوله – صلى الله عليه وسلم –: **"مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى**

منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"[٤٧]، وقوله – صلى الله عليه وسلم –: **"المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا"**[٤٨]. فنحن بحاجة إلى من يحس بآلام إخوانه المسلمين، فإذا سمع بمصيبة حلت بإخوانه تألم لهم، ولو كان لديهم بعض التقصير والابتداع.

كان الشيخ محمد رشيد رضا يتألم لواقع المسلمين، وتظهر أحزانه على قسمات وجهه حين تحل بأحد المسلمين مصيبة أو قارعة، ويفرح إذا كان الأمر على العكس من ذلك، حتى إن والدته عرفت عنه هذا الخلق، فإذا رأته حزينًا كاسفًا سألته: "مالك يا ولدي، أمات اليوم مسلم بالصين؟" فهي قد أدركت أن أحزان ابنها وأفراحه مربوطة بأحوال المسلمين، يفرح لفرحهم، ويحزن لحزنهم، وهذا هو الولاء الحقيقي للمسلمين.

ومن هذه العاطفة: أن يملك الإنسان قلبًا يتأثر لأخطاء المسلمين، وانحرافهم عن الدين، فيحزن لانتشار الفسق والمعاصي بينهم حزنًا لا يدفعه لاعتزالهم؛ إنما يدفعه لأن يشعر أنه كالطبيب معهم يحاول إنقاذهم، فإن لم يدرك ذلك كله فليقلل من هذا الانحراف بقدر ما يستطيع.

وينبغي أن تدعوه هذه العاطفة للغيرة على نفسه وزوجه وولده؛ فيأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، ويمنعهم من ارتكاب ما يسخط الله – عز وجل –.

كثيرون هم الدعاة الذين يتحدثون عن الإسلام، لكن الذي يملك عاطفة حقيقية حية قلة من هؤلاء. وإذا تحركت العاطفة في قلب الداعية أثمرت دعوة ونصيحة، ومشاركة لآلام المسلمين في كل مكان، أما حين يفقد الإنسان هذه العاطفة، فيُصبح يعيش لنفسه وولده وزوجه، ويعيش ليستمتع ويتلذذ بما حوله، وينسى هموم المسلمين – فإنه حينئذ يكون قد تخلى عن حقيقة الولاء للمؤمنين، وإن دندن في أحاديث حول الدعوة والدعاة، ومصائب المسلمين، و.. و.. إلا أنه يكون كالنائحة المستأجرة.

وما أكثر الذين تعودوا على كلام يرددونه في المناسبات، وحفظوا عبارات يسمعونها ويتلونها دون أن تنطلق من حماس، وغيرة على الدين وأهله.

فآهٍ لهذه الأمة.. ما أحوجها إلى قلوب تحترق!

* * *

المبحث السادس

الطموح

ويعني هذا الخلق ألا يعيش الإنسان لنفسه ودنياه؛ إنما يعيش لأمته كما كان – صلى الله عليه وسلم –، إذ تقول عنه عائشة رضي الله عنها لما سألها عنه عبد الله بن شقيق – رضي الله عنه –: "هل كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يصلي وهو قاعد؟" قالت: **"نعم بعدما حطمه الناس"**[٤٩]. فقد كان – صلى الله عليه وسلم – يتصدى للناس يستقبلهم ويودعهم، يأمرهم وينهاهم، يختلط بهم ويتحمل أخطاءهم؛ لذلك حطمه الناس، وأثَّروا في بدنه – صلى الله عليه وسلم –، حتى أصبح يصلي جالسًا، وأسرع إليه الشيب بأبي هو وأمي – صلى الله عليه وسلم –.

والدين مراتب: فالإسلام، ثم الإيمان، ثم الإحسان، ويقابل هذه القسمة قسمة ثلاثية أيضًا، وهي الواردة في قوله تعالى: **(ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ)** [فاطر: ٣٢]، ويناظر هذه القسمة قسمة ثلاثية – أيضًا–

ذكرها النبي – صلى الله عليه وسلم – في حديث الفرقة الناجية[٥٠]، حيث ذكر الإسلام أولاً وهو الضمانة الوحيدة في دخول الجنة، فلا يدخل الجنة إلا مسلم، وداخل هذه الدائرة الكبرى –وهي دائرة الإسلام– دائرة أضيق وهي دائرة الفرقة الناجية، وتشمل من التزموا بالسلوك المستقيم والعقيدة الصحيحة، و لم يقوموا بما وراء ذلك، وهناك دائرة ثالثة أضيق من هذه الدائرة وهي أفضل وأشرف وأعظم، وهي دائرة الطائفة المنصورة[٥١] الذين يذُبُّون عن الدين، وينافحون عنه، ويتحملون الأذى واللأواء في سبيله، فينصرهم الله – عز وجل –.

فينبغي أن يكون المسلم طموحًا ويسعى للارتقاء في هذه الدرجات، وأن ينظر في الدين إلى من هو فوقه، وفي الدنيا إلى من هو دونه.

فحاول أن تتشبه بالفضلاء والمصلحين والمجددين؛ حتى يتحقق لك بعض الخير في هذه الدنيا. كن صاحب نفس طموحة، لا ترضى بالوقوف عند حدّ معلوم، ولا تشبع من خير قطّ؛ حتى يكون منتهاك الجنة.

الخاتمة

ينبغي للداعية أن يكون قدوة لغيره: بأن يتجنب المكروهات وفضول المباحات وما لا يحتاج، ويترفع عن الدنيا والتنافس فيها؛ حتى يكسب ثقة الناس، والأمر كما قال الشافعي:

ومن يذق الدنيا فإني طعمتُها
وسيق إلينا عذبُها وعذابُهـا
فما هي إلا ضيعةٌ مستحيلـةٌ
عليها كلابٌ همهن اجتذابُها
فإن تجتنبْها كنتَ سَلْمًا لأهلها
وإن تجتذبْها نازعتْك كلابُها

فمن المهم للداعية أن يجعل الدنيا تحت قدميه، يستخدمها ولا يخدمها؛ حتى يعلم الناس أنه ليس صاحب دنيا، ولا طالب مكانة.
ومن مجالات القدوة: أن يتجنب الداعية التناقض بين القول والعمل، كما قال نبي الله شعيب – فيما حكاه عنه ربنا – عز وجل –:
(قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ من ربي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلا

الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) [هود: ٨٨].

ولذلك كان علماء السوء يدْعون الناس إلى الإسلام بأقوالهم ويحذرون منه بأعمالهم، فاحرص – أخي الداعية– أن تكون قدوة في قولك وعملك.

وها هنا أمر ينبغي التنبه له، وهو أن الكثير من الناس يظن أن الداعية لا يأمر إلا بالمعروف الذي يفعله، ولا ينهى إلا عن المنكر الذي يجتنبه، وهذا غلط؛ بل الصحيح الذي تدل عليه نصوص الكتاب والسنة: أن الإنسان يجب عليه أن يأمر بالمعروف، ولو كان مقصرًا فيه، وأن ينهى عن المنكر، ولو كان واقعًا فيه، حتى قال بعض حذاق أهل العلم: حق على من يتعاطون الكؤوس أن ينهى بعضهم بعضًا.

فالوقوع في المنكر لا يبرر لي الوقوع في خطأ آخر، وهو ألا أنهى عن المنكر، والشرط الوحيد أن يكون أمري بالمعروف ونهيي عن المنكر بصدق، وليس على سبيل الخداع والنفاق والتضليل، وأن أظهر للناس أني داعية، وأنا لست كذلك. فلو كان الوالد

– مثلاً– مبتلى بشرب الدخان، ورأى ولده يدخن، فهل يسكت عنه بحجة أنه واقع في المنكر؟ كلاّ؛ بل عليه أن ينهاه ويقول: إني سلكت هذا الطريق، ويصعب عليّ الإقلاع، وأنت ما زلت في البداية، وهكذا سائر المعاصي...، وقل مثل ذلك في مسؤول يرى من تحته يقع في معصية هو واقع فيها.

ولو لم يعظْ في الناس من هو مذنبٌ
فمن يعظِ العاصين بعد محمـدِ

وتقتضي القدوة ألا يقابل الداعية السيئة بالسيئة؛ بل يعفو ويصفح ويقابل الإساءة بالإحسان، كما كان – صلى الله عليه وسلم – يعفو عمن ظلمه، ويعطي من حرمه، ويصل من قطعه، وهذه أخلاق الأنبياء.

جعلنا الله وإياكم هداة مهتدين، غير ضالين ولا مضلين، وعاملنا بفضله ورحمته، فهو أهل التقوى وأهل المغفرة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

سلمان بن فهد العودة

الفهرس

الموضوع **الصفحة**

(١) بدون مقدمات..... ٤
(٢) لأتمم مكارم الأخلاق..... ٥
(٣) مسلم وداعية..... ٧
(٤) وهذه منها..... ٨
المبحث الأول: الصدق..... ١٠
الصدق في حمل الدين..... ١٠
الصدق في الأقوال..... ١١
الصدق في الأعمال..... ١٢
المبحث الثاني: الصبر..... ١٧
المبحث الثالث: التواضع..... ٢٥
ضروب التواضع..... ٢٩
التواضع مع العلماء..... ٢٩
تواضع المرء مع أقرانه..... ٣٠
تواضع المرء مع من هم دونه..... ٣١

عدم تعظيم المرء عمله..... ٣٢
تواضع المرء عند سماع النصيحة..... ٣٣
المبحث الرابع: العدل..... ٣٥
مجالات العدل وصوره..... ٣٥
العدل مع العدو والصديق..... ٣٥
العدل في تقويم الكتب..... ٣٧
العدل في الحكم على الدعوات والحركات..... ٣٨
العدل في النظر إلى الجهود والأعمال الدعوية..... ٤٠
العدل في التعامل مع النصوص الشرعية..... ٤٢
العدل في النظرة الشمولية للإسلام..... ٥٤
العدل مع الواقع..... ٥٩
العدل في التعامل مع الخلاف..... ٦١
المبحث الخامس: العاطفة الحية..... ٦٣
المبحث السادس: الطموح..... ٦٦
الخاتمة..... ٦٩
الفهرس..... ٧٢

الهوامش

(١) أخرجه مسلم (٧٧١) من حديث علي بن أبي طالب– رضي الله عنه –.

(٢) أخـــرجه الترمذي (٣٥٩١) من حديث قطبة بن مالك– رضي الله عنه –، وقال الترمذي: حسن غريب، وابن حبان (٩٦٠)، وأخرجه الحاكم (١٩٤٩)، وقال صحيح على شرط مسلم.

(٣) أخرجه ابن حبان (١٠٢٣)، والحاكم في المستدرك (١٩٤٤) من حديث أنس — رضي الله عنه –، وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه، وأصـــله في الصحيحين البخاري (٢٨٢٣)، ومسلم (٢٧٠٦) من حديث أنس — رضي الله عنه – بلفـــظ: كان النبي — صلى الله عليه وسلم – يقـــول: **"اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والهرم، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات، وأعوذ بك من عذاب القبر"**، وأخرجه مسلم (٢٧٢٢) من حديث زيد بن أرقم — رضي الله عنه –، ولفظه: **"اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل والهرم، وعذاب القبر..".**

(٤) أخرجه أحمد (١٨٢٩٦)، والدارمي (١٨١١)، والترمذي (٨١٤)، وأبو داود (١٩٤٩)، وابـــن مـــاجـــه (٣٠١٥)، والنســـــائي(٣٠١٦ ، ٣٠٤٤) من حديـــــث عبد الرحمن بن يعمر الديلي — رضي الله عنه –، والحديث صحيح، وقد صححه الشيخ الألباني في إرواء الغليل برقم (١٠٦٤).

(٥) أخرجه البيهقي في الشعب (١٩١/١٠)، والبزار (٢٧٤٠ - كشف الأستار)، والشـــهاب في مسنده (١١٦٥) كلهم من حديث أبي هريرة — رضي الله عـــنه –، وأخـــرجه مـــالك في الموطأ بلاغًا بلفظ: **"إنما بعثت لأتمم حسن الأخـلاق"** قال ابن عبد البر في التمهيد (٣٣٢/٢٤): "ويدخل في هذا المعنى الصلاح والخير كله، والدين والفضل والمروءة والإحسان والعدل، فبذلك بعث ليتممه".

(٦)

(٧) رواه مسلم (٥٥) من حديث أبي هريرة — رضي الله عنه –.

(٨) رواه الـــبخاري (٧، ٤٥٥٣)، ومســـلم (١٧٧٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٩) رواه أبو داود (٤٣٥٩)، والنسائي (٤٠٦٧)، والحاكم (٤٥/٣). قال المنذري: أخـــرجه النســـائي، وفي إسناده إسماعيل بن عَبد الرحمن السدي قد أَخرجَ له مسلم، وَوثَّقه الإمام أَحْمد، وتكلمَ فيه غير واحد. اهـــ وله شاهد عند أحمد (١٢١٢٠) وأبي داود (٣١٩٤) مـــن حديث أنس — رضي الله عنه – ولفظـــه: **"إنه ليس لنبي أن يومض"** وقد صححه الشيخ الألباني، انظر صحيح الجامع (٢٤١٢،٢٤٢٦)، وسلسلة الأحاديث الصحيحة (١٧٣٣).

(١٠)أخـــرجه أحمد (٢٣٢٧٢)، والدارمي (١٤٢٤)، والترمذي (٢٤٠٩)، وابن ماجه (١٤٢٤،٣٢٥١) مـــن حديث عبد الله بن سلام – رضي الله عنه –. وقال الترمذي: حديث صحيح.

(١١)أخـــرجه أحمد (١٠٠٣٨)، وأبو داود (٣٣٣١)، والنسائـــي (٤٤٥٥)، وابن ماجه (٢٢٧٨)، من حديث الحسن عن أبي هريرة — رضي الله عنه –. قال المنذري في مختصر سنن أبي داود (٨/٥): الحسن لم يسمع من أبي هريرة، فهـــو مـــنقطع. اهـــ قال الحافظ ابن حجر في التقريب: ثقة فقيه، كان يرسل كثيرًا ويدلس، وقال أبوحاتم: لم يسمع الحسن شيئًا من أبي هريرة ، وكذا قال البزار، وغيرهما، وقد ضعف الحديث الشيخ الألباني في ضعيف الجامع (٤٨٦٤).

(١٢)أخرجه البخاري (٢٠٨٣،٢٠٥٩) من حديث أبي هريرة — رضي الله عنه –.

(١٣)رواه البخاري (٦٩٤٣ ، ٣٨٥٢)، وأبو داود (٢٦٤٩) وهذا لفظه، والنسائي مختصرًا (٥٣٢٠) من حديث خباب — رضي الله عنه –.

(١٤)هـــو محـــارب بن حفصـــة بن قيـــس عيلان من عدنان جد جاهلـــي. انظر الأعلام للزركلي (٢٨١/٥).

(١٥)انظـــر القصـــة في الفاخر (٩٠-٩١) الزاهر (٢/ ١٩٥- ١٩٦) واللسان مادة كسع.

(١٦)إشارة إلى ما أخرجه الترمذي (٢٩٨٤)، وأبو داود (٤٣٤١)، وابن ماجه (٤٠١٤)، وابن حبان (٣٨٥) عن أبي أمية الشعباني قال: "أتيت أبا ثعلبة الخشني فقلت له: كيف تصنع بهذه الآية؟ قال: أية آية؟ قلت: قوله تعالى: [المائدة: ١٠٥] قال: أمـــا والله لقد سألتُ عنها خبيرًا، سألت عنها رسول الله — صلى الله عليه وســـلم – فقال: **بل ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شـحًا مطاعًـا، وهوى متبعًا، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخاصة نفسك، ودع العوام، فإن من ورائكم أيامًا، الصبر فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر** خمسين **رجلاً يعملون مثل عملكم**، قيل: يا رسول الله، أجر خمسين منا أو منهم؟ قال: **بل أجر خمسين منكم**" قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

(١٧)رواه مســـــلم (٢٦٧٤)، والـــترمذي (٢٦٧٦)، وأبـــوداود (٤٦٠٩)، من حديـــث أبي هريرة — رضي الله عنه –.

(١٨)أخرجه مسلم (١٠١٧) والنسائي (٢٥٥٤) من حديث جرير بن عبد الله البجلي— رضي الله عنه –.

(١٩)رواه مسلم (٩١) والترمذي (١٩٢٢) وأبو داود (٤٠٩٢) من حديث عبد الله ابن مسعود — رضي الله عنه –.

(٢٠) [٢٠] العزلة (٢٢٠).

(٢١)قـــال الذهبي في الميزان (٣٢٩/٤) واصل بن عطاء البصري الغزَّال المتكلم البليغ المتشدق الذي كان يلثغ بالراء.. قلت – الذهبي- كان من أجلاد المعتزلة وكان يتوقف في عدالة أهل الجمل ويقول إحدى الطائفتين فسقت لأبيعنها فلو شهد عندي عائشة وعلي وطلحة على باقة بقل لم أحكم بشهادتهم.

(٢٢)أخرج الترمذي (١٨٤٢) من حديث أنس – رضي الله عنه – مرفوعًا: "**ليس منا مـن لم يـرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا**". وقد صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٥٤٤٥).

(٢٣)رواه مسلم (٢٦٢١) من حديث جندب بن عبد الله — رضي الله عنه —.

(٢٤)سبق تخريجه (ص٢٥).

(٢٥)نص حديث رواه أحمد (٤٩٤١)، والترمذي (٦٧)، والنسائي (٥٢ ، ٣٢٨)، وأبـــو داود (٦٣ ، ٦٥)، وابن ماجه (٥١٧ ، ٥١٨)، وصححه الطحاوي وابن خزيمة وابن حبان والحاكم والذهبي والنووي وابن حجر. انظر إرواء الغليل (١/ ٦٠).

(٢٦)أخـــرجه ابـــن إسحاق، ونقله عنه ابن هشام في السيرة النبوية (١٦٤/٢)، وأورده ابن حجر في فتح الباري باب الهجرة إلى الحبشة، وإسناده حسن لحال ابن إسحاق. وأخـــرج الإمـــام أحمد (١٧٤٠) عن أم سلمة زوج النبي — صلى الله عليه وسلم —: "لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار: النجاشي، أمنا على ديننا، وعبدنا الله لا نؤذى، ولا نسمع شيئًا نكرهه".

(٢٧)رواه الـــبخاري (٥٩٨٤)، ومســـلم (٢٥٥٦) من حديث جبير بن مطعم — صلى الله عليه وسلم —.

(٢٨)رواه البخاري (٦٠٥٦)، ومسلم (١٠٥) من حديث حذيفة — رضي الله عنه —.

(٢٩)

(٣٠)أخرجه أحمد (٦٩٨٠)، وابن ماجه (٢٧٤٤) من حديث عمرو بن شعيب عن أبـــيه عن جده مرفوعًا، وله شاهد عند الدارمي (٢٧٣٧) عن أبي بكر الصديق — رضي الله عنه —والحديث حسن.

(٣١)رواه الـــبخاري (٣٤٣٥)، ومســـلم (٢٨) من حديث عبادة بن الصامت — رضي الله عنه —.

(٣٢)رواه الـــبخاري (٥٠)، ومسلم (٩ ، ١٠) من حديث أبي هريرة — رضي الله عنه —.

(٣٣)رواه الـــبخاري (١٣٩٥،١٤٥٨)، ومســـلم (١٩)، وأبـــوداود (١٥٨٤)، والـــــــــــــــــــــــــــــــــــترمذي (٦٢٥)، والنســـائي (٢٤٣٥)، وابـــن ماجه (١٧٨٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣٤)أخرجه أحمد (١١٤٦٧)، وأبو داود (٦٥٠) من حديث أبي سعيد الخدري — رضي الله عنه —، والحديث صحيح.

(٣٥)أخرجه أحمد (١٤٩٦٦)، وأبو داود (٦٤٨)، والنسائي (٧٧٦)، وابن ماجه (١٤٣١) من حديث عبد الله بن السائب — رضي الله عنه —. وإسناده صحيح ، وفيه ابن جريج وهو مدلس إلا أنه صرح بالتحديث.

(٣٦)أخرجه البخاري (٣٨٦)، ومسلم (٥٥٥) من حديث سعيد بن يزيد الأزدي عن أنس بن مالك — رضي الله عنه —.

(٣٧)أخرجه أحمد (٦٦٢٢)، وأبو داود (٦٥٣)، وابن ماجه (١٠٣٨) من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده. والحديث إسناده حسن. وأخرجه النسائي (١٣٦١) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣٨)أخرجه أبو داود (٦٥٤)، وابن ماجه (١٤٣٢) من حديث أبي هريرة ﷺ. وقد صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم (٦٤٥).

(٣٩)رواه أبوداود (٦٥٢)، وابن حبان (٢١٨٦)، والحاكم (٩٥٦)، والبيهقي (٤٠٥٦). قال المناوي في فيض القدير (٥٥٢١): صححه الحاكم وأقره الذهبي ولم يضعفه أبو داود. وقال الزين العراقي في شرح الترمذي: إسناده حسن. اهـ

(٤٠)أخرجه أحمد (١١٤٦٧)، والدارمي (١٣٧٨)، وأبو داود بلفظ: **"إذا جاء أحدكم إلى المسجد فلينظر في نعليه فإن رأى فيهما قذرًا** [أو قال: **أذى**] **فليمسحهما وليصلّ فيهما"** وإسناده صحيح.

(٤١)رواه الحاكم (٦٤١،٦٤٢)، والبيهقي (١٢٤٥ ، ١٢٤٦)، والضياء في المختارة (٢٥١) من حديث عقبة بن عامر — رضي الله عنه —، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم.

(٤٢)مجموع الفتاوى (١٧٨/٢١).

(٤٣)رواه البخاري (٣٧٠٠) من حديث عمرو بن ميمون الأَوْدي.

(٤٤)يقصد به أبا بكر — رضي الله عنه —، وكان أبو بكر يجعل الجد أبًا.

(٤٥)رواه عبد الرزاق في المصنف (١٩٠٥١)، والدارمي (٢٩١٦)، والحاكم (٧٩٨٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٢٢٠١) عن مروان بن الحكم، وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط الشيخين.

(٤٦)أخرجه البخاري (٧٥٥١)، ومسلم (٢٦٤٩) عن عمران بن حصين — رضي الله عنه —.

(٤٧)رواه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير — رضي الله عنه —.

(٤٨)رواه البخاري (٢٤٤٦)، ومسلم (٢٥٨٥) من حديث أبي موسى الأشعري — رضي الله عنه —.

(٤٩)أخرجه مسلم (٧٣٢) عن عائشة رضي الله عنها.

(٥٠)إشـــارة إلى قولـــه رسول الله — صلى الله عليه وسلم – قال: **"افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة فواحدة في الجنة وسبعون في النار، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة فإحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة، والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة واحدة في الجنة وثنـتان وسـبعون في النار.** قيل: يا رسول الله، من هم؟ قال: **الجماعة"**.

أخرجه ابن ماجه (٣٩٩٢) من حديث عوف بن مالك، وهذا لفظه، وأخرجه أحمـــد (٢٧٥٠١)، والترمذي (٢٦٤٠)، وأبوداود (٤٥٩٦) من حديث أبي هريرة — رضي الله عنه –، والحديث صحيح.

(٥١)كما في حديث ثوبان — رضي الله عنه –، أن النبي — صلى الله عليه وسلم – قال: **"لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة ".**

أخرجه مسلم (١٩٢٠).